باب الندم

طالب عبد العزيز

من باب المراد جئت
وجئت، ليتني، من باب
الندم
المؤنب قادني
والى خوخة في بـــرية
المسجد
اوثق فرسي،
واغدق الكثير من الامل
علي
قال سيوثقه، وعاد
صب الماء على مرفقي
وقال: صلي
قلت: ترفق، يا هذا
فأنا امرأة، كسر الجند
محمل زينتي،
واصطفق الباب ورائي

كانت الشمس تومئ
والفجر في جبة الشيخ
ظامر
والفاخت الحمام في
الصحن يئن
ونديا كان صوت المؤذن
في القمر المائل البعيد
نشرت قبالة الشرق
كفي
فانهارت اساوري..
بارد ذهب الاساور في
مرفقي
ومثل نخلة مفجوعة
سقطت
وقمت، سقطت وقمت
فرأيت خفي مقلوباً
واصابعي توجعني

صحت بالمؤنب
مالك وامرأة تركت
مشبك شعرها
في سبت البيت
ولا اعلم اين نسيت
قلادتي
وقناة كحلي..
وهذا الازرق الشذري
يبكيني، يا سيد
الكاظمين
يا سيدي..
يا ابن جعفر
ضيقة الدنيا، وضيق
كمُ العباءة
وانت سورٌ من الفضة
ذهب باذخ
وشباك قصي
فاقترب، كيما اصلح
لغتي
هذا اللفظ المرتبك
تائهة انا في لجك
الشذري
لكم يبعد الجسر
هذا الضريح الفنار
وهذه الفسيفساء، كم
تبعد؟
:: :: ::

الامام، تعجل بركعة
الفجر بنا
وخازن الكتب نائم
وانا لم انقض وضوئي
بعد
ومن وله يبيع
المصاحف، امس
استأجرت عباءة
واعطاني (ضياء
الصالحين)
قال: لا تدخلي من باب
الندم
كان الهلال جامداً في
المنارة
والكاظمية كرخ وزقاق
طويل
جسر على دجلة
وقيصرية يستأجر
الباعة مغربها
والشريف رضي
وانا امرأة خانني
فرحي
وكسر الجند محمل
زينتها
واصطفق الباب ورائي
بارد تحت القميص
شعري

وعاطلة يدي
وانت ضلوع التائهين
يا سيدي:
على اي كرخ ترك
السعاة
ضريحك البالي الفقير
وباية بادية نزلت
لا اريدك مسموماً ميتاً
على رمح اريد عمامتك
علني، ابلغ بك بعض
هذي
السماء، التي تبعد
فأنا امرأة لا احسن
الدعاء
مغلولة لغتي
وهذا بابك الذهب
وهذه الفضة شباك
واحرف عطشى
وانا متاخمة لهن
فادع ربك ان يشرح
صدري
لك، لترَ
ضيق كمُ العباءة
وانت الفضاء كله
وهذا الجرف الازرق
يفرقني
لم اقرأ سطراً
والكتاب تمرّق في يدي
اربكني الإمام العجول
وهذه ضيقة..
لا الباحة
فادع ربك لي
فأنا امرأة كسر الجند...
واصطفق الباب ورائي

السخرية والامتاع

التقنيات السردية لرواية ما بعد الحداثة

هل هنالك علاقة بين "رواية ما بعد الحداثة" و "اكلة الماكدونالد؟"
بهذا العنوان الصادم افتتح احد الصحفيين الفرنسيين مقالة صغيرة ساخرة ومستفهمة عن الشروط الما بعد حداثية التي تحكم الواقع الثقافي والادبي في العالم. وهو محق من وجهة نظري طالما ان "الاصطفائية" هي درجة صفر من ثقافة عامة معاصرة. وعلى حد تعبير جان فرانسوا ليوتار فان الانسان المعاصر محاط "بافلام الويسترن" ويأكل "الماكدونالد" ويضع "العطر الباريسي" وهو يعيش في طوكيو. ويتخذ من المعرفة مادة للألعاب التلفزيونية. وبمعنى آخر فانه يعيش في "عصر التراخي" فاذا كان هذا العصر يسم كل شيء تقريباً فما هي آثاره الحصرية على الانواع الادبية. وبعبارة اخرى كيف يمكن للرواية وهي نتاج الحداثة الغربية ان تمثل ثقافياً واجتماعياً وسياسياً الشروط الما بعد حداثية لهذا العصر؟

د. مي عبد الكريم محمود

ما بعد الحداثة
تقنيات/افكار/ خصائص

في الواقع ان رواية ما بعد الحداثة هي توصيف ثقافي لسير المجتمع المعاصر، تجسد ردة الفعل ازاء فكرة "ان البشرية تعيش في تطور مستمر" الفكرة التي كانت الحداثة تصر عليها، انها ترد عبر التقنيات والافكار التي تطرحها المنظومة السردية الاستاتيكية ذاتها، بأن عالمنا لا يتجه بالضرورة نحو مجتمع اكثر تطوراً، او يتجه نحو التمام، وهكذا فان روايات ميشيل هولبيك واشنوز وداريوسك تقول بشكل عام ان الحاضر لا يشكل بالضرورة تحسيناً للماضي. انها توصيف لما اطلق عليه بودريار، بـ (انفجار المعنى) و (عدم التصديق حيال السرديات الكبرى) عند جان فرانسوا ليوتار، و(ازمة الشرعيات) عند هابرماس، و (فكرة التذرر الاجتماعي) عند ليبوفتسكي، انه عصر اللايقين بطبيعة الامر.

ولأكثر من سبب، يقول بواقيه:

لعب العلم والتكنولوجيا دوراً اساسياً في ظهور المجتمعات الحديثة بيد ان الحماس لهذه الفكرة قد تهاوى، لأن العصر الذهبي الذي وعدنا به لا يزل بعيداً عن البزوغ في الافق.

ويمكننا ان نلاحظ مع بواقيه ومع ليوتار ان تقنيات الفن قد فسحت المجال للشك، وكان عدد من التيارات الفنية قد تحولت بتقنياتها الى السواد والصمت، فقد انتسبت هذه التيارات الى تيار الحداثة، ويشكل الجديد فيها رفضاً لكل ما سبقها، فتكمن الاصالة في البحث عن الاشكال الجديدة في التعبير، وقد مضت الطليعية قدماً في تدمير كل ما سبق نحو ما هو مستحدث. والحال انه منذ الخمسينيات وصل الفن الى طريق مسدود، وقد تحولت الرواية الى "بقعة باهتة من السرد المتواصل" والى "تفاهات" وذهب البعض الى حد "التشكيك بالوظيفة الاجتماعية للفن". فإن كان للفن على حد قولهم ذلك التأثير الذي نسبناه اليه، فكيف نفسر ان الجنس البشري حتى بعد خضوعه ولأمد طويل الى سلطته التمدينية ما زال يمارس البربرية على صعيد واسع ايضاً؟ وقد لخص ليبوتفسكي الفن الما بعد حداثي بأنه، "فن دون ادعاء، فن عفوي، حر، على صورة المجتمع النرجسي واللامكترث".

كان على الرواية ان تتغير طالما ان مجتمع التوفير ومجتمع العفة والضمير المهني وروح التضحية والجهد والدقة والسلطة والنزعة القومية والعدالة الاجتماعية، قد تحول الى مجتمع العفوية وانجاز الذات والمتعة والدعاية والاعلان، وان المناخ العام اخذ يميل شيئاً فشيئاً نحو الفنتازي والزاخي والساخر واللاذع. ان عبادة العفوية وثقافة التحليل النفسي تحطم ان الاقتراب من الذات.

والى التحرر من الانوار.

وثقافة ما بعد الحداثة، هي ثقافة الشعور بالتحرر الفردي الممتد الى جميع الفئات، كما يقول لابيتوفسكي، وينبغي على كاتب ما بعد الحداثة ان يكون هادئاً غير متشنج ومرناً ومسترخياً ومتزحياً اخيراً، انه قيمة كلية للحضور داخل المجتمع العاصر، ويقول بواقيه بأن الانسان ما بعد الحداثي يريد ان تكون له كلمة للتأثير على حياته، ولم يعد الانصهار وارداً فكل فرد يختار التعبير عن نفسه ويقرر حياته طبقاً لصالحه الخاصة وكل فرد يريد ترتيب حياته وان النزعة النرجسية ستكون الصورة الرمزية الاكثر تعبيراً عن عصرنا.

كان على الرواية ان تنتقل تحولات والعاب المعنى فان كانت الحداثة تستشيع طمس المعنى فان ما بعد الحداثة تقف امام هذه التحولات وتلغي الواقع الذي نتجها، ان ما هو مهم هنا هو ظهور الاستهلاك الجماهيري والتعوية العممة، وقد انتج مجتمع التقنيات ثقافة تمحورت حول تحقيق اللذا والتلقائية والمتعة، وهكذا تحولت التعوية الى مبدأ محوري للثقافة الحديثة وقد اصبح المجتمع الحديث منقسماً لأن النظام التقني تتحكم فيه الفاعلية، وحيز السلطة والعدالة الاجتماعية تتحكم فيها المساواة والثقافة تتحكم فيها التعوية. اما في الرواية فقد اصبحت عملية النفي لا حدود لها، طالما ان الجديد لا يلبث ان يصبح قديماً، بيد ان النفي قد فقد قدرته على التجديد، وهكذا شهدنا مرحلة اندحار كامل للخلق الجديد. فقد اصبح الفن غارقاً في القوالب الجاهزة. وهو في حالة تناقض شامل مع الفعالية ان الفن هو حامل الفردنة الحقيقي، غير ان الطليعة قد فقدت طبيعتها الاستفزازية، ولم تعد قادرة على خلق اي توتر بينها وبين الجمهور او بينها وبين النقاد، وببساطة لأنه لم يعد بين الجمهور او بين النقاد مدافع عن النظام والتقاليد، اما المتعة فقد اصبحت هي القيمة العليا المحمولة من قبل الاستهلاك الجماهيري، لقد اصبحت هي القيمة المركزية للثقافة، وهكذا على الفن ان يعيد الاعتبار الى المتعة، فالحداثة الفنية قد كفت عن ارباك
النظام الاجتماعي وحلت محلها الثقافة الجماهيرية التي اصبحت هي التي تقود النزاع مع النظام التقني، وهكذا انتقلت الرواية الى موقع الثقافة الجماهيرية بلغتها واسلوبها واحداثها مع تطوير خلاق لأدواتها وتقنياتها كي تلائم هذا التحول.

ان كانت البنيوية تنتمي الى الحداثة فان ما بعد البنيوية هي المعبر حقيقة عن ما بعد الحداثة، وقد فضح دريدا الجوهرانية والمركزية المنطقية التي اصطبغت بها البنيوية واصبح رد دريدا على شتراوس الذي محور الكتابة حول الصوت معبراً عن الاختلاف وهو شكل العصر الجديد ذلك لأن شتراوس منح الكتابة مفهوماً مركزياً بوصفها لجدية صوتية، في حين وسع دريدا مفهوم الكتابة ليشمل البكتوغرامات والهيروغليفيات والايدوغرامات والكتابة المعمارية، وفي الغراماتولوجيا التي طرحها دريدا فان الكتابة لا تنتج الا انطلاقاً من اللعبة الدائمة للدال ولتفاعله واختلافه، وهي القوة التمييزية للكتابة.

وقد طرحت ما بعد البنيوية ستراتيجية كاملة "للما بعد" فقد ركز هابرماس على عدم استمرارية "الما بعد" اما نسبة الى ليوتار فان "الما بعد" هي شكل من اشكال العدمية القائمة على قمع الماضي، في حين طرح فريدريك جيمسون مفهوماً اكثر حداثة في مراكمة الفكر والتيهان في التعقيدات، بينما كان ليفس يطالب بمحو العلامات الفارقة ذلك لأنها اشداد مؤسف نحو الاسفل وعودة الى التنميط والى الانتاج الجماهيري الذي ترتكبه الصحافة والاعلان والصناعة السينماتغرافية، وهكذا فان ما بعد الحداثة هي حركة تحليلية تتماثل مع الموضوعات التي تصفها. اما في مجال الرواية فقد اعاد باختين مواجهة المنظومات الحداثية الابتسارية وذلك بتنظيره للخيال الحواري والكرنفالي واللاتجانس النصي واعادة الاعتبار للثقافة الشعبية ونهاية اليقينيات فيما يتعلق بالتنظير الثقافي، ان الرواية ما بعد الحداثية ترتكز في صناعتها على مسرح الفودفيل ومسرح الايماء والكوميديا الغرائبية اكثر مما تنتمي الى الرواية الواقعية الكلاسيكية، مثلما قاد التلفزيون والسينما من رواية الالغاز والرواية البوليسية وروايات الرعب وهو الفن الشعبي الذي يقع بين الميلودراما والبورلسك والمشاهد السحرية والمنوعات والاوبرا الكوميدية والكوميديا الموسيقية. ويرسم بودريار صورة لعصر قصامي حيث الاجساد والارواح قد طغى عليها حضور الدعاية والتلفزيون، واصبحت ترفض الاقتراب من الكائنات الحقيقية، فالزائف بات يحل محل الحقيقي واصبحنا نحن مستهلكي نسخ النسخ وصور الصور، ويتبنى بودريار خطاباً حداثياً نموذجياً، وهو موضوعة المدن الكبرى، وعلى الرواية ان تجسد قيم هذه للمجتمعات الخارجة عن

الخيال المفهومي على حد تعبير بودريار، اما بالنسبة لدوكر فهي ترتهد لقرن من الكتابة الحداثية حول المدينة، اما المدينة بالنسبة لليوتار فهي تفوق جمالية المجرد، وعلى الرواية هنا ان تتحرر من المفهوم الخطي والتجانس والغائية وتنتهي الى تدمير ارثوذكسية الفكر النقدي، انها تحليل الفردنة والمتعة على حد تعبير ليبوفتسكي، وكان على الرواية ان تعكس تآكل الهويات الاجتماعية والانصراف عن الايديولوجيا والسياسة وعدم استقرار الشخصية، فمجتمع ما بعد الحداثة نسبة الى ليبتوفسكي هو مجتمع اللامبالاة الجماهيرية ومجتمع الشعور بالانسحاق واصبح التجدد عادياً، وترتبط عملية الشخصنة بنرجسية الافراد والاستقلالية والانسحاق بالتجمعات الصغيرة مثل، المدمنين على الكحول او المصابين بالتأتأة وهو شبه بمجتمع الخدمة الذاتية، انه مجتمع الماكدونالدية على حد تعبير ريتزر وهو مجتمع يتسم بالنزعة الشاملة نحو الحد من العلاقات السلطوية والزيادة في الخيارات والتعددية.

في الحر والبرد وتحت المطر

يوميات مقاتل مرغم في هور الحويزة

يحيى صاحب

84.10.5

كنت اتسكع في حدود نقطة على محيط دائرة. الدائرة كبيرة، فلم اسمع شيئاً انتهت الكلمة القصيرة، فانقضت الدائرة وانفرطت الى ذرات. وجعلت تغذ الخطو بهمة نحو الركبات وتفرقت عليها، سبعة مواضع.

مر وقت ممتلئ بغير قليل من الصخب قبل ان يتحرك رتل الركبات الزرق، ينتظم ويندفع في تعاقب نحو القرنة، كانت السيارة التي تقلنا شبه فارغة. هل كنا عشرة؟ معظمنا كان يجلس منفرداً وثمة ما هو منصرف اليه، ولم يكن ذلك في الخارج البتة، مما يجعل الانفراط في هذا المكان الصغير حقيقياً. كان راديو السيارة يذيع القتل. اية مصادفة ان نلتحق بالجبهة يوم العاشر من محرم!

كنت كعادتي كلما ركبت سيارة ملتصقاً باحدى نوافذها، لأن هذا يتيح لي دائماً الارتحال الى عوالم بعيدة، ان الخارج لحافل بالضوء ليحفز الداخل المعتم، ولكن الامر ليس كما هو ،الآن، فلقد بدا لي عمق السماء ابيض فحسب. ربما لأنني لم اكن افكر في شيء تحديداً كان المقاتلون يبدلون اماكنهم والركبة تطوي الطريق. بدت الشمس كأنها غيرها، لكثر ما هي بعيدة. لم تكن حارة كما هي في معسكر التدريب، رغم تكسرها الواضح على زجاج النافذة.

في حوالي الرابعة توقفت في نقطة في مقدمة مدينة القرنة، ترجلنا بانتظار السيارة التي ستقلنا الى مواقعنا الجديدة، على الخطوط الامامية. ثمة وقت حتى تقدم هذه السيارات لا أعرف من اين كان هناك مطعم ومقهى صغير وربما حانوت او اثنان، قصدها البعض وجلس البعض على البطقات في الفيء، بعد ان اغتسل الجميع وشربوا ماء. كانت الحوارات متقاطعة، معظمها يدور من المكان الذي سننتجه نحوه، وعن تجارب في مهمات سابقة ربما كنت الوحيد، من بين الجميع الذي لم يلتحق بالجبهة حتى الآن.

في الساعة السابعة تقريباً قدمت السيارات، قفزنا بأمتعتنا الى احواضها الخلفية المكشوفة القينا بها واتكأنا عليها مقرفصين، راحت ترفل على نحو بطيء في ارض غير مستوية تحول الضجيج تدريجياً الى ما يشبه الصمت، واسى الحديث همساً. الدنيا معتمة، ونحن جلوس لا نكاد نرى مما حولنا واذا اما رفعنا رؤوسنا الى اعلى كانت ثمة قطعة بيضاء من الفضاء تغطينا.

توقفت السيارة وقال احدهم: هذا هو موضعنا، نزلنا ونحن نحمل يطغاتنا، كان الموضع اشبه ما يكون بكوخ فسيح، القينا بأحمالنا وخرجنا لتحريك اقدامنا واستطلاع المكان، تنفسنا الصعداء، وقال احدهم: خلصنا من النهروان.

وقلت في نفسي، حقاً. صعدنا الساتر والقينا نظرة على الهور، كانت الارض مما يلي نهر صغير مصطنع، يجري بموازاة الساتر، ليست منبسطة. ثمة عتمات على الرغم من زرقة السماء الشفيفة اللامتناهية.

اكلنا وشربنا شاياً.

كان للقصعة طعم مختلف، تختلف تماماً عما كان عليه طعمها في النهروان، وهي نفسها كانت لذيذة وكان لأقداح الشاي اول مرة طعمها ايضاً. في الساعة الواحدة تقريباً انسحب القاطع السادس، الذي استبدلناه. وفي تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل نهضت لاستلام الواجب. في الزغل الذي يقع امام موضعنا على الهور، كان الهور فسيحاً يمتد امام الساتر وعلى سطحه الذي يبدو سميكاً تنعكس سماء افسح واعمق. ثمة قصب يتنفس وصوت خبط اسماك وخفق مفاجئ لجناحي طائر قويين

في الساعة الرابعة صباحاً نهضت المجموعة.

84.10.6

كان الصباح رائعاً وبدا عالمنا الفسيح الفقير بمنتهى الغنى وهو يسطع في ذهب الشمس. وتراءى حتى اقصى نقطة فيه مستسلماً حتى لكأنه سوى ذلك العالم الليلي الذي نزلناه، أمس.

تحركت الى الجهات كلها محاولاً ومرة واحدة ان اطبع المكان على ورقة بيضاء في اعماقي، الهور المتمع وراء الساتر، الكوخ ولا اسميه: موضعاً. والنهر الصغير الذي لا تكاد مياهه الخضراء المثقلة بالنفايات تجري ثم هذه الارض المترامية الاطراف وراءنا، بمنخفضاتها ثمة مواضع بعيدة مرصد وسيارة، انه لجمال بسيط وموجز، ومن مفردات قليلة تنفتح عوالم من الاحتمالات لا نهائية. ان هذا العالم هو عالم الجميع، بيد انه منذ اليوم جعل يتحرك باتجاه ان يكون عالمي، عالمي وحدي ملموس حتى اقصى نقطة فيه وممكن.

تقسمت مجموعتنا على موضعين، احتلت الثانية موضعاً الى اليسار منا، بينما بقيت انا مع الاول في الكوخ. وفيما استدعينا الى موضع المجموعة الثانية في الساعة الحادية عشرة كان هناك آمر القاعدة ومعاونه، وكانت هناك تعليمات ايضاً، طلب مني آمر القاعدة بعد لحظات ان التحق بمقر القاعدة لإدارة شؤون الذاتية.

بعد الغداء مباشرة شددت يطغي وحملته على ظهري، في حين حمل معي حسين كيس تجهيزاتي وبندقيتي نحو مقر القاعدة.

سرنا في ظل الساتر بعد ان قطعنا ارضاً شبه مكشوفة، فلقد كان الساتر وهو نفسه الذي يحميها ليس بالعلو الذي نسير في ظله الآن، مررنا بمواضع ومقر عسكري مسيج بمشبك من القصب اليابس، تطلعت طوال الطريق الى النهر الصغير الذي تندمن مياهه شبه الساكنة في مواضع مختلفة اطراف قصب وبردي.

مرحباً رهط الهاون!

انني اعرف الوجوه كلها تقريباً اما الاسماء..

ما انفكوا منهمكين في ترتيب الموضع، كان فسيحاً، على خلاف الموضعين السابقين والمواضع التي مررت بها في الطريق، القيت بيطغي وعلق احدهم كيس تجهيزاتي وبندقيتي.

شربنا شاياً داخل الموضع، وقال ابو محمد :هنا مع ابي حسين ستر تاح، صبيح من منطقتي، اما ماجد وطاهر فلا يبتعد منزلهما عن بيتي كثيراً.

خرجت لإتمام رصد المكان كان الساتر عالياً يعلو، على سقف موضعنا الذي يقبع في سفحه، بما يزيد من مترين وعريض ايضاً، هل عرضه..6 امتار؟

وتطل منه على الهور مزاغل مبتعدة مبنية من البلوك والحديد والصفيح.

جلسنا في باب الموضع ننظر الى النهر الصغير، وما وراءه الارض التي تزخر بمنخفضات ربما منها اخذ تراب السواتر، حتى الطريق التعاوني المهد ومن هناك تبدو خضرة بعيدة تتراجع متكاثفة الى ما يشبه البساتين.

تابعنا من فوق الساتر حمل اضحتنا مساء وارتفعنا مع النجوم الحمر المتطايرة في اقصى امتداد الساتر قبل ان ينحني، تكلمنا كثيراً في الوضع وخارجه وكيل الثناء للجبهة ورجحت كفتها كلما ذكرت كفة النهروان.

ليس التدريب ما يزعج بل كثافة المتدربين، حيث يضيع الانسان والاشياء على حد سواء. ولا يكون اي شيء في مكانه وزمانه، النوم، الطعام، الشراب. أنهضت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل للقيام بالواجب، امام الموضع.

بعد نوم كاف بدا العالم في هذه الوحشة المتناهية غاية في الجمال، فسيحاً وهادئاً إذا استثنينا خبط اسماك صغيرة في النهر، صوت مقاتل من اعلى الساتر ومرور ثعلب صغير مرتبك، فكرت، ووجدت ان منتهى الراحة في تعليق التفكير في كل ما من شأنه ان يبعدنا عن هذا المكان. ينبغي ان يبدو كل شيء ما عدا المهمة التي نحن بصددها، مبتوتاً ولا يشدنا اليه اي خيط من اي نوع.